الإمام محمد متولى الشعراوى



جامع البيان في العبا الأحكام

١١

أشراف
فضيلة الشيخ
محمد بن على السنراوى
المستشار بالأزهر

جمع المادة العلمية
منشاوى غانم جابر

كتب الحواشى وراجعها
إبراهيم ربيع محمد

دار الندوة

الإحــــرام:

ملابس الإحرام:

● **للرجل ..**

(أ) إزار .. وهو ثوب من قماش تلفه حول وسطك، تستر به جسدك ما بين سرتك إلى ما دون ركبتك. وخيره: الجديد الأبيض الذى لا يشف عن العورة (بشكير).

(ب) رداء: وهو ما تستر به ما فوق سُرّتك إلى كتفيك، فيما عدا رأسك ووجهك. وخيره أيضًا: الجديد الأبيض (بشكير) واحذر أن تلبس فى مدة الإحرام «فانلة» أو جوربًا أو جلبابًا أو شيئًا مما اعتدت لبسه من الثياب المفصلة المخيطة، إلا إذا كنت مضطرًا، فلك أن تلبس ذلك مع الفدية، فقد قال الله تعالى: **﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾**(١).

(جـ) **نعل** .. تلبسه فى رجليك، يظهر منه الكعب من كل رجل. والمراد بالكعب هنا العظم المرتفع بظاهر القدم.

كل هذا للحاج الرجل.

أما للمرأة الحاجة ..

فتلبس ملابسها المعتادة الساترة لجميع جسدها من شعر رأسها حتى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

قدميها، ولا تكشف إلا وجهها. وعليها ألا تزاحم الرجل، وأن تكون ملابسها واسعة لا تبرز تفاصيل الجسد وتلفت النظر. والمستحب اللون الأبيض.

متى تحدد موعد السفر بحمد الله ووسيلته:

فإذا كنت متوجهًا إلى المدينة المنورة ـ أولا ـ فلا تحرم ولا تلبس ملابس الإحرام، بل تبقى بملابسك العادية إلى أن تتم زيارة الرسول، ﷺ - وآله وصحبه ـ وسلم، وتنتهي إقامتك بالمدينة.

● وعندما تشرع في التوجه منها إلى (مكة)، فإن عليك أن (**تحرم: بالعمرة فقط، أو بالحج فقط، أو بهما معًا**، حسبما تريد ـ من المدينة ذاتها، أو من ميقاتها **ذى الحليفة**) وهو المكان المعروف الآن بآبار «**على**» قرب المدينة في الطريق منها إلى (مكة) أو من (رابغ).

وإذا كنت ممن يسافرون في الأفواج المتأخرة الذاهبة من جدة إلى مكة مباشرة، فلك أن تنوى الحج والعمرة معًا، وتسمى (قارنًا) أى جامعًا بينهما. ولك أن تحرم بالعمرة فقط، أو أن تحرم بالحج فقط.

فإذا ركبت الباخرة واقتربت بك من الميقات وهو (الجحفة) قرب (رابغ)، بالنسبة للمصريين وأهل الشام؛ فتهيأ للإحرام بحلق شعرك وقص أظافرك، ثم اغتسل في الباخرة استعداداً للإحرام، وهو غسل للنظافة لا للفريضة، أو توضأ إن لم يتيسر لك الاغتسال، وضع على جسدك شيئًا من الرائحة الطيبة المباحة، والبس ملابس الإحرام الموصوفة آنفًا.

● ومتى لبست ثياب الإحرام على هذا الوجه، أى بعد التطهر بالاغتسال أو

الوضوء، صل ركعتين سنة، وانْوِ في قلبك عقب الفراغ من أدائهما ما تريد من العمرة فقط، أو الحج فقط، أو هما معًا إذا نويت القران بينهما، وقل: اللهم إنى نويت (كذا) فيسره لي وتقبله مني ثم قل: (لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك).

وبهذا القول ـ بعد تلك النية ـ تصير محرمًا بما نويت وقصدت: (العمرة فقط، أو الحج فقط، أو هما معًا)؛ لأن هذه التلبية بمثابة تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة.

● ومتى صرت محرمًا على هذا الوجه، فلا تفعل ـ بل ولا تقترب مما صار محرمًا عليك بهذا الإحرام ـ وهو:

تغطية الرأس، وحلق الشعر أو شدة من أى جزء من الجسد، ولا تقص الأظافر، ولا تستخدم الطيب والروائح العطرية، ولا تخالط زوجتك أو تفعل معها دواعى المخالطة كاللمس والتقبيل بالشهوة، ولا تلبس أى مخيط، ولا تتعرض لصيد البر الوحشي، أو لشجر الحرم.

● وإذا فعل المحرم واحدًا من هذه المحظورات ـ قبل رمى جمرة العقبة فى العاشر من ذى الحجة ـ صح حجة وصحت عمرته، ولكن عليه أن **يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين، أو يصوم ثلاثة أيام**. أما الجماع قبل رمى جمرة العقبة، (التحلل الأول)، فإنه يفسد الحج، وعلى من فعل ذلك أن يعيد الحج مرة أخرى في عام قادم.

ويحرم على المرأة تغطية الوجه واليدين.

● ومحظور على المسلمة وعلى المسلم، المخاصمة والجدال بالباطل مع الرفقة؛ بقول الله سبحانه: ﴿ **فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾[1].

● وإذا كنت مسافراً **بالطائرة، فاستعد بالإحرام وأنت فى بيتك أو فى المطار، أو فى داخل الطائرة**، والبس ملابس الإحرام إن لم يكن بك عذر مانع من لبسها، **ثم انْوِ ما تريد من عمرة أو حج ولبِّ** بالعبارة السابقة بعد ارتداء ملابس الإحرام، أو عند استقرارك فى الطائرة أو عقب تحركها، وذلك كما تقدم: متى كنت متوجهًا إلى مكة مباشرة من جدة. أما إذا كنت متوجهًا إلى المدينة أولاً، فكن عاديًا فى كل شيء.

ومتى أحرمت ونويت ولبيت ـ كما سبق ـ صار محظوراً عليك الوقوع فى شيء من تلك المحظورات.

■ ما يباح للمحرم:

● بعد الإحرام يباح الاغتسال وتغيير ملابس الإحرام، واستعمال الصابون للتنظيف، ولو كانت له رائحة. وللمرأة غسل شعرها ونفضه وامتشاطه؛ فقد أذن الرسول ﷺ ، لعائشة رضي الله عنها فى ذلك بقول: «أنفضى رأسك وامتشطى» (رواه مسلم).

● ويباح أيضًا: الحجامة وفقء الدمل، ونزع الضرس، وقطع العرق وحك الرأس والجسد دون شد الشعر؛ ويباح النظر فى المرآة والتداوى.

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

أما شم الروائح الطيبة فدائر بين الكراهة والتحريم. ومن ثم يستحب أن يمنع الحاج عن استعمالها قصداً. أما ما يحدث من الجلوس أو المرور فى مكان طيب الرائحة فلا كراهة فيه ولا تحريم.

● ويباح التظلل بمظلة أو خيمة أو سقف، والاكتحال والخضاب والحناء للتداوى لا للزينة، ويباح قتل الذباب والنمل والقراد، والغراب والحدأة والفأرة، والعقرب والكلب العقور، وكل ما من شأنه الأذى. أما حشرات جسد الآدمى كالبرغوث والقمل، فللمحرم إلقاؤها وله قتلها ولا شىء عليه. وإن كان إلقاؤها أهون من قتلها.

● وإذا احتلم المحرم أو فكر أو نظر فأنزل، فلا شىء عليه، عند الشافعية.

ها أنت ـ أيها الحاج أو المعتمر ـ على مشارف مكة محرماً.

فمتى دخلتها بعون الله وتوفيقه، اطمئن أولاً على أمتعتك فى مكان إقامتك، ثم اغتسل إن استطعت أو توضأ، ثم توجه إلى البيت الحرام لتطوف **طواف العمرة إن نويتها، أو طواف القدوم إن كنت نويت الحج، وكبر وهلل عند رؤية الكعبة المشرفة**، وقل: (الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ومغفرتك، اللهم زد بيتك هذا تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره ـ تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ـ ربنا ـ بالسلام، وأدخلنا دار السلام).

● ثم ادع بما يفتح الله به عليك، فالدعاء فى هذا المقام مقبول بإذن الله، وإذا لم تحفظ شيئاً من الأدعية المأثورة، فادع بما شئت وبما يمليه عليك قلبك،

ولا تشغل نفسك بالقراءة من كتاب غير القرآن، فهو الذى تقرؤه وتكثر من تلاوته.

● **ثم اقصد إلى مكان الطواف،** لتبدأه وأنت متطهر، واستقبل الكعبة المشرفة تجاه الحجر الأسود، واجعله على يمينك، لتمر أمامه بكل بدنك، واستقبله بوجهك وصدرك، وارفع يديك حين استقباله كما ترفعها فى تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة؛ ناويًا الطواف مكبرًا مهللا ـ معلنًا شهادة أن : لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. اللهم إيمانًا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعًا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم.

ثم اجعل الكعبة على يسارك مبتدئًا من قُبالة (من عند) الحجر الأسود، وسر فى المطاف مع الطائفين حتى تتم **سبعة أشواط**: بادئًا بالحجر الأسعد، ومنتهيًا إليه فى كل شوط. ولا تشتغل فى الطواف بغير ذكر الله والاستغفار والدعاء، وقراءة ما تحفظ من القرآن، مع الخضوع والتذلل لله. ومن أفضل الدعاء ما جاء فى القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]. ولا ترفع صوتك، ولا تؤذ غيرك، واستشعر الإخلاص، فالله يقول: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

■ **ركعتا الطواف:**

فإذا فرغت من أشواط الطواف السبعة، **فتوجه إلى المكان المعروف بمقام إبراهيم، وصلِّ فيه منفردًا ركعتين خفيفتين**؛ ناويًا بهما سُنّة الطواف، أو

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

صَلِّهما فى أى مكان فى المسجد إن لم تجد متسعًا فى مقام إبراهيم، وادع الله بما تشاء، وما يفتح به عليك.

ثم توجه إلى الملتزم، وهو المكان الذى بين باب الكعبة والحجر الأسود. وإذا استطعت الوصول إليه، فضع صدرك عليه؛ مادًا ذراعيك عليه، متعلقًا بأستار الكعبة، واسأل الله من فضله لنفسك ولغيرك، فإن الدعاء هنا مرجوّ الإجابة إن شاء الله.

■ **الشرب من ماء زمزم:**

ثم توجه إلى صنابير مياه زمزم، واشرب منها ما استطعت **فإن ماءها لما شرب له**؛ كما فى الحديث الشريف.

■ **السعى بين الصفا والمروة:**

● ثم ارجع بعد شربك من ماء زمزم، أو بعد وقوفك بالملتزم، واسع بين الصفا والمروة، بادئًا بما بدأ الله تعالى به فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾(1).

ومتى صعدت إلى الصفا فهلل وكبر، واستقبل الكعبة المشرفة، وصلّ على النبى المصطفى ﷺ، وادع لنفسك ولمن تحب، ولنا معك؛ بما يشرح الله به صدرك، **ثم ابدأ أشواط السعى سيرًا عاديًا من الصفا إلى المروة، فى المسار المعد لذلك**، مراعيًا النظام والابتعاد عن الإيذاء **وأسرع قليلاً فى سيرك بين الميلين الأخضرين** (فى السعى علامة تدل عليهما). وهذا الإسراع هو ما

(1) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

يسمى **هرولة، وهى خاصة بالرجال دون النساء، فإذا** بلغت المروة، **فقف** عليها قليلاً مكبراً مهللاً مصليًا على النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، **جاعلا الكعبة تجاه وجهك**، داعيًا الله بما تشاء من خَيْرَىِ الدنيا والآخرة لك ولغيرك. وبهذا تم شوط واحد.

ثم تابع الأشواط السبعة على هذا المنوال مع الخشوع والإخلاص والذكر والاستغفار، وردد ما ورد عن الرسول ﷺ: «رب اغفر وارحم، واعف عما تعلم، أنت الأعز الأكرم. رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم».

وبانتهائك من أشواط السعى السبعة، تكون قد أتممت العمرة، التى نويتها حين الإحرام.

● وبعدها **احلق رأسك** بالموسى، أو **قص شعرك كله أو بعضه**، والحلق أفضل للرجال، وحرام على النساء. وبهذا الحلق أو التقصير للشعر يتحلل المحرم من إحرام العمرة: رجلاً كان أو امرأة، ويحل له ما كان محظوراً عليه، فيلبس ما شاء ويتمتع بكل الحلال الطيب إلى أن يحين وقت الأحرام بالحج حين العزم على الذهاب إلى عرفات ومنى. **ومتى تمتعت على هذا الوجه بالتحلل من إحرام العمرة قبل الإحرام بالحج، فقد وجب عليك ذبح هدى**، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ **فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْى، فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَة أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ، تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

وهذا الهدى يجوز ذبحه بمكة عقب الانتهاء من التحلل من العمرة، كما يجوز بمنى فى يوم العيد، أو فى أيام التشريق التالية له، أو فى مكة بعد عودتك من منى، ولك أن تأكل منه.

أما من أحرم بالحج فقط، أو كان محرمًا قارنًا بين الحج والعمرة؛ فإن عليه ـ حين وصوله إلى مكة محرمًا، وبعد أن يضع متاعه ويطمئن على مكان إقامته ـ أن يطوف بالكعبة طواف القدوم سبعة السعى إلى ما بعد طواف الإفاضة. ولا يتحلل من إحرامه؛ بل يظل محرمًا حتى يؤدى مناسك الحج والعمرة، ويف على عرفات ثم يبدأ التحلل الأول ثم الأخير بطواف الإفاضة.

■ إعادة الإحرام للحج:

إذا كنت **متمتعًا**: ففى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ويسمى: «يوم التروية» تهيأ للإحرام بالحج على نحو ما سبق بيانه فى الإحرام حين بدء الرحلة، والبس ملابس الإحرام الموصفة على الطهارة: غسلا أو وضوءًا، ثم صلّ ركعتين بالمسجد الحرام إن استطعت، وَانْوِ الحج وقل إن شئت: اللهم إنى أردت الحج فيسره لى، وتقبله منى. ثم قل: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك.

ومتى قلت ذلك بعد تلك النية، صرت محرمًا بالحج، وردها كلما استطعت؛ فى سيرك ووقوفك وجلوسك، وارفع بها صوتك دون إيذاء لغيرك.. والمرأة تلبى فى سرها.. وداوم عليها وأنت فى الطريق إلى منى، وإلى عرفات، وفى عرفات، وحين الإفاضة من عرفة إلى المزدلفة، وفى هذه الأخيرة، وعند وصولك إلى منى يوم النحر ولا تقطعها حتى تبدأ فى رمى جمرة العقبة.

■ **الحج عرفة:**

ثم استعد **للوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة، لأن هذا الوقوف هو الركن الأعظم للحج،** كما جاء فى الحديث الشريف: «الحج عرفة». فمن فاته الوقوف فقد فاته الحج.

ويتحقق هذا الوقوف بوجود الحاج وحضوره أى لحظة ولو مقدار سجدتين، واقفاً أو جالساً أو ماشياً أو راكباً **فى أى وقت من بعد ظهر يوم التاسع إلى فجر يوم العاشر. والأفضل الجمع بين جزء من النهار فى آخره وأول جزء من ليلة العاشر منه، أى قبيل غروب شمس يوم التاسع إلى ما بعد الغروب بقليل.** ويحسن أن تكون على طهارة، وأفضل الدعاء على عرفة ما جاء فى الحديث الشريف لرسول الله ﷺ:

«أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له. له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير».

واخشع وتذلل لربك، نادمًا على ذنبك وخطاياك، راجيًا عفوه، طامعًا فى رحمته ورضوانه، متمثلا يوم الحشر الأكبر، فإن عرفة صورة منه، فقد حشر فيه الخلق من كل جوانب الأرض حجاجًا.

■ **الصلاة فى مسجد نمرة:**

صلّ الظهر والعصر يوم التاسع مقصورتين (ركعتين) مجموعتين جمع تقديم، أى صلهما فى وقت الظهر مع الإمام فى مسجد نمرة إذا استطعت، ولا تفصل بينهما بنافلة، وإلا فصلهما حيث كنت فى خيمتك؛ كلا منهما فى وقتها، أو جمعاً فى وقت الظهر.

■ التوجه إلى مزدلفة:

وعقب غروب شمس يوم التاسع يتوجه الحجيج إلى مزدلفة، وعند الوصول إليها يؤدى الحاج فرض المغرب وفرض العشاء جمع تأخير فى وقت العشاء. ولك أن تبيت بمزدلفة حتى تصلى بها الصبح، ثم تتوجه إلى منى، وهذا متوقف على استطاعة المبيت بمزدلفة، وكلها موقف وهى المشعر الحرام، وفيها، أكثر من الذكر والدعاء والاستغفار والطلب من الله، واجمع من أرضها الحصيات التى سترمى بها جمرة العقبة صباح يوم النحر بمنى، وهى سبع حصيات كل واحدة منها فى حجم حبة الفول. ولك أن تجمعها من أى مكان غير مزدلفة، ولك أن تجمع جميع حصيات الرمى فى الأيام الثلاثة. ومجموعها ٤٩ حصاة منها لجمرة العقبة سبع حصيات يوم النحر وواحد وعشرون للجمرات الثلاث فى ثانى أيام العيد، ومثلها فى ثالث أيامه.

ومن بقى بمنى إلى رابع أيام العيد، فعليه رمى الجمرات الثلاث كل واحدة بسبع حصيات، كما فعل فى اليومين الثانى والثالث.

■ الذهاب إلى منى:

بعد المبيت وصلاة الفجر فى منى، اقصد إلى جمرة العقبة، وارمها بالحصيات السبع، واحدة بعد الأخرى على التوالى، وارم بقوة، وقل: باسم الله والله أكبر: رجمًا للشيطان وحزبه. اللهم اجعله حجًا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا. واقطع التلبية التى التزمتها منذ أحرمت. وإياك ورمى هذه الجمرات أو غيرها بالحجارة الكبيرة أو العصى أو الزجاج أو الأحذية، كما يفعل بعض الناس؛ لأن

كل هذا مخالف للسنة الشريفة. ولك أن تؤجل الرمى لآخر النهار، ولا حرج عليك.

الإنابة فى الرمى:

إذا عجز الحاج عن الرمى بنفسه، لمرض أو لعذر مانع فى وقته، جاز أن يوكل غيره فى الرمى عنه، بعد رمى الوكيل لنفسه.

التحلل من إحرام الحج:

بعد رمى جمرة العقبة هذه، يحلق الحاج رأسه، أو يقصر من شعره. وتقصر الحاجة من أطراف شعرها، ولا تحلق.

وبهذا الحلق أو التقصير يحصل التحلل من إحرام الحج، ويحل ما كان محرمًا ـ عدا الاتصال الجنسى بين الزوجين ـ فإن هذا لا يحل إلا بعد طواف الإفاضة الذى قال الله سبحانه فى شأنه: ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾[1].

طواف الإفاضة:

بعد رمى جمرة العقبة، والتحلل بالحلق أو التقصير، **يذهب الحاج إلى مكة للطواف بالكعبة سبعة أشواط، هى**: طواف الفرض، ويسمى **طواف الإفاضة** أو طواف الزيارة. وقد سبق بيان أحكام الطواف، **ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم، ويشرب من ماء زمزم، ويسعى بين الصفا والمروة، على ما تقدم بيانه.**

(١) سورة الحج: الآية ٢٩.

■ المبيت بمنى، ورمى باقى الجمرات :

بعد طواف الإفاضة عد إلى منى فى نفس اليوم، وبت فيها ليلة الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة، ويجوز أن تبقى فى مكة، ثم تتم الليلة بمنى، كما يجوز أن تستمر فى منى وتتم الليل بمكة. ولك ألا تبيت بمنى، وإن كره ذلك لغير عذر.

ومن الأعذار عدم تيسر مكان المبيت، ولكن يلزمك إذا لم تبت فى منى: أن تحضر إليها لرمى الجمرات.

● أماكن رمى الجمرات الثلاث ووقته :

* الصغرى، وهى القريبة من مسجد الخيف.

* ثم الوسطى، وهى التى تليها وعلى مقربة منها.

* ثم العقبة، وهى الأخيرة.

ارْمِ هذه الجمرات فى كل من يومى ثانى وثالث أيام العيد: كل واحدة بسبع حصيات، كما فعلت حين رميت جمرة العقبة فى يوم العيد. ووقت رمى هذه الجمرات من الزوال إلى الغزوب، وبعد الغروب أيضاً، ولكن الأفضل عقب الزوال لموافقته فعل الرسول، ﷲ – وآله وصحبه ـ وسلم، متى كان ذلك ميسوراً دون حرج.

وقد أجاز الرمى قبل الظهر: عطاء وطاووس، وغيرهما من الفقهاء. وأجاز الرافعى ـ من الشافعية ـ رمى هذه الجمرات من الفجر. وهذا كله موافق لإحدى الروايات عن الإمام أبى حنيفة.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(١).

و ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا...﴾(٢).

● حيض المرأة قبل طواف الإفاضة:

للمرأة إذا فاجأها الحيض قبل طواف الإفاضة ولم يمكنها التخلف حتى انقطاعه، أن تستعمل دواء لوقفه وتغتسل وتطوف، أو إذا كان الدم لا يستمر نزوله طوال أيام الحيض، بل ينقطع في بعض أيام مدته: عندئذ يكون لها أن تطوف في أيام الانقطاع، عملا بأحد قولي الإمام الشافعي القائل: إن النقاء في أيام انقطاع الحيض طهر، وهذا القول أيضاً يوافق مذهب الإمامين: مالك وأحمد.

وأجاز بعض فقهاء الحنابلة والشافعية للحائض دخول المسجد للطواف بعد إحكام الشد والعَصْب وبعد الغسل، حتى لا يسقط منها ما يؤذى الناس ويلوث المسجد، ولا فدية عليها في هذه الحال باعتبار حيضها ـ مع ضيق الوقت والاضطرار للسفر ـ من الأعذار الشرعية.

وقد أفتى كل من الإمام «ابن تيمية» والإمام «ابن القيم» بصحة طواف الحائض طواف الإفاضة، إذا اضطرت إلى السفر مع صحبتها.

ثم إن النفساء حكمها كالحائض في هذا الموضع.

■ طواف الوداع:

اسمه يدل على الغرض منه، لأنه توديع للبيت الحرام، وهو آخر ما يفعله

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

الحاج قبيل سفره من مكة بعد انتهاء المناسك. وقد اتفق العلماء على أنه مشروع؛ متى فعله الحاج، سافر بعده فوراً. ثم اختلف العلماء في حكم هذا الطواف: هل هو واجب أو سنة؟.

بالأول: واجب .. قال فقهاء الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعي.

وبالقول الآخر: سنة .. قال مالك وداود وابن المنذر، وهو أحد قولي الشافعي.

■ يستحب تعجيل العودة:

فيما رواه الدار قطني عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، قال: «إذا قضى أحدكم حجة، فليتعجل إلى أهله، فإنه أعظم لأجره».

■ زيارة المدينة المنورة:

إذا لم تكن ـ أيها الحاج ـ قد بدأت هذه الرحلة المباركة بزيارة الرسول ﷺ؛ فمن السنة وقد فرغت من مناسك الحج أن تقوم بها، فإنها من أعظم الطاعات وأفضل القربات.

وفي فضلها أحاديث شريفة كثيرة، ولتقصد من الزيارة الصلاة في حرمه الآمن تحصيلا للثواب، فقد ورد في الحديث الشريف عن صاحب هذا الحرم، صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم: «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه؛ إلا المسجد الحرام..».

● خطة هذه الزيارة وآدابها:

* يسن للزائر ـ بعد أن يطمئن على أمتعته ومحل إقامته ـ **أن يغتسل**، وأن **يلبس أحسن ثيابه** ويتطيب. وإذا لم يتيسر له الاغتسال اكتفى بالوضوء.

ثم يتوجه إلى الحرم النبوى، متواضعًا فى سكينة ووقار، فإذا دخل من باب المسجد، **قصد إلى الروضة الشريفة**، وهى بين القبر الشريف والمنبر النبوى، **وصلى فيها ركعتين تحية للمسجد، ويدعو الله مجتهدًا فى الدعاء**، لأنه فى روضة من رياض الجنة، وفى مهبط الرحمة، وموطن الإجابة، إن شاء الله.

* فإذا انتهى الزائر من تحية المسجد والجلوس فى الروضة الشريفة **توجه إلى قبر الرسول**، عليه ـ وآله وصحبه ـ الصلاة والسلام، ووقف قبالة موضع الرأس الشريف فى أدب واحترام، **ويسلم على الرسول** فى صوت خفيض، ويقول: السلام عليك يا نبى الله. السلام عليك يا خيرة الله من خلقه. السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت فى الله حق جهاده!

* ثم **يصلى الزائر على رسول الله** صلى الله عليه ـ **وآله وصحبه** ـ وسلم، ويبلغ إليه سلامنا وسلام من أوصوه.

* ثم **يترك هذا الموضع إلى اليمين** قليلا بما يساوى ذراعًا (أقل من المتر)، ليجد نفسه واقفًا قبالة رأس الصديق: **أبى بكر**، ﷺ، فيسلم عليه بقوله: السلام عليك يا خليفة رسول الله. السلام عليك يا صاحب رسول الله فى الغار، السلام عليك يا أمينه فى الأسرار. جزاك الله عنا أفضل ما جزى إمامًا عن أمة نبيه.

* ثم يتجاوز مكانه إلى اليمين قدر ذراع أيضًا، ليجد نفسه واقفًا قبالة رأس **عمر بن الخطاب**، ﷺ، فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين. السلام عليك يا مظهر الإسلام. السلام عليك يا مكسر الأصنام. جزاك الله عنا أفضل الجزاء.

* وبعد هذا يستقبل الزائر القبلة، ويدعو بما شاء لنفسه ولوالديه وأهله، ولمن أوصاه بالدعاء، شاملا جميع المسلمين.

* وينبغي للزائر ألا يلمس حجرة الرسول، ﷺ ، ولا يقبل الحواجز ولا الحيطان، ولا يطوف حولها، لأن هذا مَنْهِيٌّ عنه في أحاديث وفيرة عن الرسول، عليه الصلاة والسلام.

* وينبغي للزائر كذلك أن يغتنم مدة وجوده في المدينة، **فيصلى في مسجد الرسول**، صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم، **الصلوات الخمس، وعليه أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم فيها، ومن الدعاء والاستغفار والتسبيح.**

* ومن المستحب **زيارة أهل البقيع**، حيث دفن أصحاب الرسول ﷺ، من المهاجرين والأنصار والصالحين.

كما يزور شهداء أحد.

وقبر سيد الشهداء: الحمزة عم الرسول، صلى الله عليه ـ وآله وصحبه ـ وسلم.

ومسجد قباء: أول مسجد بناه الرسول ﷺ.

وفى ختام الإقامة بالمدينة، لا تفارقها ـ أيها الزائر ـ إلا بعد أن تصلى ركعتين فى مسجد الرسول ، ﷺ ، وتزور الرسول وصاحبيه، وتسأل الله تيسير العودة لهذه الزيارة وتكرارها بإذن الله تعالى.

هذا خلاصة ما ذهب إليه العلماء وأراحوا الناس من عناء البحث فى أمهات الكتب وفى التفريعات التى لا يقدر عليها من لا يسعده البحث، فشكراً للسادة العلماء على التقنين الفقهى، ودعاء لشيخنا على بيان أسرار المناسك، فإذا اجتمعت الأسرار مع المناسك على قلب محب أحبه الله ودعاه شوقًا يتجدد الحب فيه.

وعلى الله القصد ، ، ،

وهو نعم المولى ونعم النصير ، ، ،

اعداد

محمد بن على السنراوى

القسم الثاني

العروض

الباب الأول

الفصل الأول: تقديم

الفصل الثاني: مدخل

الفصل الأول

تقديم

الحدود شريعة الله الواجبة

الحد في اللغة: المنع، وسميت العقوبات حدوداً لأنها تحد من ارتكاب الجرائم، أما تعريفه شرعاً: هو الفصل بين الحلال والحرام.. أى آخر الحلال، وأول الحرام، فيقال في الحلال: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا** ﴾[1] ويقال فى الحرام: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا** ﴾[2].

وقد جرى عرف الفقهاء إطلاق كلمة الحد على العقوبات المقدرة شرعًا الواجبة حقًا لله تعالى، وقد يطلق الحد على الجريمة ذاتها التى تستوجب الحد، فيقال: ارتكب الجانى جريمة حد.

ومعنى أن العقوبة مقدرة حقًا لله تعالى: أنها ليست واجبة لصالح فرد، أو

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

هيئة، أو طائفة من الناس؛ وإنما هي واجبة لصالح المجتمع، وحماية للنظام العام، وأنها لا تقبل الإسقاط من الأفراد، ولا الحكام، ولا المجتمع، لأنه حق لله فلا يسقطه أحد.

ولفظ حد أخص من لفظ الجناية، لأن الجناية اسم لفعل محرم شرعًا، فيشمل الحدود وغيرها من الجرائم.

عقوبة الحدود لها حكمة:

قدر الشارع الحكيم عقوبات الحدود، وأمر بضرورة إقامتها؛ لأن جرائم الحدود جرائم خطيرة، تصيب المجتمع بالانحلال، والانحطاط، وتشيع فيه الفاحشة، وتقطع رابطة الألفة لذلك يقول النبي ﷺ: «حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا»(١) لأن المعاصي سبب لنقصان الرزق، والغلاء، والأمراض النفسية والعضوية، ونزع البركة، والخوف من العدو، وذهاب الريح، والشوكة يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(٢).

وبإقامة الحدود تختفي المعاصي، وتعم طاعة الله تعالى، وتعلو الفضيلة، ويستتب الأمن والاطمئنان، فيزيد الرزق، ويعم الرخاء، وتختفي الأمراض، وتعم البركة ويدل على ذلك قوله تعالى:

(١) أخرجه النسائي [٨/ ٧٦] وابن ماجه [٢٥٣٨].

(٢) سورة طه: الآية ١٢٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وقد حدد الشارع الحكيم هذه الجرائم، حتى لا يتأول فيها متأول، ولا تخضع لسلطة بشر يزيد أو ينقص فيها بالهوى، وجعلها حقًا لله تعالى.

واقتضت المصلحة تقدير عقوبات الحدود، وضرورة إقامتها، حتى لا يجترئ الناس على ارتكاب هذه الجرائم المقلقة لأمن الناس.

خصائص الحدود:

تتميز الحدود بخصائص تميزها عن غيرها من العقوبات، وهذه الخصائص هي:

١- الحدود حق الله تعالى

٢- الحدود مقدرة من الشارع فلا يجوز فيها زيادة ولا نقصان.

٣- الحدود لا يستوفيها إلا الحاكم أو نائبه.

٤- الحدود تتداخل إذا كانت من نوع واحد.

٥- الحدود تتصف بالعدل.

٦ - الحدود لا تورث.

٧ - الحدود لا يجوز العفو عنها، ولا الشفاعة فيها، ولا الصلح عنها.

٨ - ما يحدث في الحدود من تلف فهو هدر لا ضمان فيه على منفذ الحد.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٠.

٩ - الحدود خرج فيها المشرع عن القواعد العامة للإثبات.

١٠- الحدود وضعت على أساس محاربة الدوافع التى تدعو إلى الجريمة، بالدوافع التى تصرف عن الجريمة لصيانة الأمن العام.

وقد ذكر د. محمد رشدى محمد إسماعيل الأستاذ بجامعة الأزهر هذه الخصائص فى كتابه القيم «الجنايات فى الشريعة الإسلامية»(١) بشىء من الإيجاز:

(وإقامة الحدود صيانة للمجتمع، من الشذوذ والانحراف، لا إكراهاً على الفضيلة وحسن الخلق، فالمجتمع الإسلامى يقوم على عقيدة ينبع منها خلق، ويصونه نظام يعمل على تربية المجتمع، وتطهره وصيانته، لذلك حذرت الشريعة الإسلامية من ارتكاب المحرمات على وجه العموم، منذرة بغضب الله ونقمته على مقترفيها وحرمانهم من رحمته ونعيمه، متوعدة بعقوبة فى الآخرة على صورة تثير فى نفوس المؤمنين شدة الخوف والرهبة، وعدم الإقدام على شىء منها، وفى الوقت نفسه تدفع عن المجتمع كثيراً من شرورها، ومفاسدها.

ولما كان من يفعل هذه المحرمات متصلاً بالحياة العامة، وله آثاره السيئة فى حقوق الأفراد والجماعات، وكان من المجتمع من تضعف عقيدته، وتُعمى بصيرته عن الترهيب الأخروى، أو يغفل بدواعى التنافس فى الحياة عن استحضاره، والتأثر به فتطغى عليه لذة العاجلة التى يتخيلها فى جريمته، ويقضى بها حاجة شهوته، فتحول بينه وبين التفكير فى سوء العاقبة، لهذا لم يقف

(١) راجع الكتاب المذكور من ص ٣٩٥ إلى ص ٤٠٠.

الإسلام عند حد العقوبة الأخروية، بل كان من مقتضيات الحكمة في السلامة والأمن: اتخاذ علاج ناجح لكبح هذه النفوس وحدّها عن نوازع الشر، صيانة للمجتمع من شيوع الفساد، فوضع عقوبات دنيوية على الحاكم تنفيذها، بجانب العقوبات الأخروية، لتكون سيفًا مسلطًا على هؤلاء، وحتى يتآزر في دفعها والزجر عنها، رادع الدين، ورادع السلطان.

وقد سلكت الشريعة السمحاء طريقة النص في الحدود، على العقوبة المتكافئة لأنها جرائم لا تختلف باختلاف البيئات، ولا تتفاوت بتفاوت الأفراد وظروفهم وملابساتهم، فلم يترك أمر تقديرها للحاكم لأن ضررها محض لا تشوبه مصلحة ما تقتضي التخفيف.. فالعقوبات المقدرة المحدودة مناسبة للمفسدة التي تترتب عليها.

كما سلكت طريقًا آخر في بعض الجرائم، فلم تحدد لها عقوبة معينة، نظراً لاختلافها تبعًا للبيئة، والظروف والملابسات، والدوافع التي حملت الشخص على ارتكابها، فقد تكون داعية للتخفيف عن البعض، كما تكون داعية للتشديد بالنسبة للآخرين، فكان من الحكمة ترك تقديرها، وجعلها منوطة بالحاكم ومن ينوب عنه، يكيف الجريمة، ويضع العقوبة الرادعة حسبما يراه، وهي العقوبة التقديرية.

فإقامة الحدود لحفظ المجتمع، وصلاحية الفرد، وعدم الاعتداء على النفس، والمال، والعرض، والكرامة والدين والنوع، ورفع المظالم، وجلب المصالح، ودرء المفاسد، وكذلك التعزيرات لها الأثر البين في ذلك.

واليوم نسمع، ونقرأ أفكاراً مسمومة، ونعرة هدامة من الذين انتزع الله من قلوبهم الإيمان، والأمان من الذين لا يفهمون روح الشريعة الإسلامية، ولا الحكمة المقصودة من عقوبة الحدود، تنادى بأن هذه العقوبات، بها من القسوة ما يتنافى وروح العصر، ويتجافى مع الرحمة التى يجب أن تسود المجتمع المتطور.

ويرى الداعون لذلك أن: قطع يد السارق، ورجم الزانى، وجلد الشارب للخمر، والقاذف، وقتل المحارب وقطع يده ورجله من خلاف فيه قسوة على البشرية، وحب فى الانتقام، وفيه تشويه للآدمية وتمثيل بها، وذلك يعطى صورة سيئة عن الدين الإسلامى، ويدعو إلى التنفير منه، ويفتح ثغرة للطعن فيه، والنيل منه.

كما يرى هؤلاء أن: المجرم الذى يسفك الدماء، ويسلب الأموال، ويهتك الأعراض، ويحرم الأطفال من راعيهم والحانى عليهم، ويروع الآمنين.. يجب أن يؤخذ بلطف ووداعة، ونحيطه بهالة من الرقة، والرحمة، والعطف، والحنان، ونضفى عليه، المواعظ والنصائح، بأسلوب الملاطفة والمهادنة حتى تكون عقوبته.. تربية، وتهذيباً، لا قسوة ولا انتقاماً.

وتناسى هؤلاء قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ...﴾(١).

(١) سورة المائدة: الآية ٣٣.

وللرد على هؤلاء نقول: هذا فهم خاطئ وسفسطة، فى مقابلة نص صريح فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وحكمة سامية، ومصلحة عامة لا يدركها إلا أصحاب العقول الحصيفة، والفهم الدقيق، قُصد به النيل من الإسلام وإبعاد الناس عنه، وهذا الإنسان أضر على الإسلام من الكفر الصريح، ذلك أن إثارة مثل هذه الأفكار التافهة تهز عقيدة الشباب: الذى يهوى كل تبرج، ويعشق كل جديد.. فكم من نظرية إلحادية أطلت برأسها ثم كانت، وحملها أنصارها ودعوا بها، والويل للناس من الألفاظ البراقة كم تخدعهم عن الحق، وتبعدهم عن الحقيقة.

ميزان العدل:

والإسلام حينما يقرر العقوبة، لا يقررها جزافًا، ولا ينفذها بدون حساب، وإنما يمسك بميزان العدل من منتصفه، ثم يقرر الجزاء العادل مراعيًا المصلحة العامة، والمنطق السليم. فحينما يقرر الإسلام قطع يد السارق يدرء عنه العقوبة بالشبهة عندما يدفعه الجوع إلى ارتكاب الجريمة.. فهذا عمر بن الخطاب ﵁ لم ينفذ حد السرقة فى عام المجاعة ـ الرمادة ـ لأن الحد لا يقوم، ولا ينفذ إلا بعد أن تتوفر للإنسان الحياة الطيبة المطمئنة التى تكفل لكل فرد بيتًا ومطعمًا وملبسًا؛ وحينئذ يكون ارتكاب الجريمة لخبث الطوية، وإثارة الفوضى فهو بهذا يقرر مبدأ هامًا خطيرًا، وأحكامًا عادلة راسخة لا تزال تهدى كل دارس فى أفق التشريع الإسلامى.

وفى جميع العقوبات التى قررها الإسلام، يلجأ أولاً إلى وقاية المجتمع من

الأسباب التى تؤدى إلى الجريمة، ثم يقرر العقوبة وهو مطمئن إلى العدالة حينما تقع الجريمة دون مبرر معقول.

والإسلام الذى يعترف بقوة الدافع الجنسى، وعنّت الحاجة على البشر، عليه أن يعمل على إشباعه بالطرق المشروعة، حرصًا منه على تنظيف المجتمع من كل وسائل الإغراء، التى تثير الشهوة أو تبرر الجريمة، فليطمئن هؤلاء المشفقون على الجريمة والذين يدافعون عنها، بأنه فى الوقت الذى تَنَفّذ فيه الشريعة كاملة غير منقوصة، سوف لا يجدون هذه الطائفة التى يتخيلون وجودها، وفى الوقت نفسه سوف لا يسمعون شيئًا عن سلب الأموال، والتفنن فى الفتك بأصحابها، وهتك الأعراض وما يتبع ذلك من إزهاق فى الأرواح بأشكال مختلفة تنفطر لها القلوب، وتقشعر منها الأبدان.

وفى إشارات مولانا الإمام الشعراى التى ينفع الأمة بها فيما يقول وفيما يُكتب عنه أسرار فيها جمال لمفهوم منطوق الآيات القرآنية استمده من تقوى الله أولاً، ومن قدرته على إداركه للغة بعقلية رياضية تتسم بالفهم الواعى، والصفاء الراقى. ففضيلته لم يتعرض فى مقولاته للتبين الفقهى المنهجى وإنما عرض أسراراً هى غائبة عن ساحة العقل المعاصر، وعندما وجدوا الذين يكتبون من معينه، ويعيشون مع إشاراته إمامًا مجدداً فاجتهدوا بقدر إمكانياتهم لفهم هذه الإشارات، لاستخراج ما قدروا عليه من أسرار هى زاد للقلب والنفس والعقل وحتى نستقبل الفقه بحب العابد، وجلال المحب، فإن أصابوا فى العرض فلهم أجران، وإن اخطأوا فلهم أجر، وإن قصروا ففى مستقبل الإمام ما يلحق المتخلف بالركب، ونأمل من الذين يصوغون إشارات الإمام، ويستخرجون منها مرادهم أن

يذكروا مراجع الإشارة حتى يكون النفع أعم، والفائدة أوفى والأمانة مؤداة.

وفق الله الإمام، وبارك لنا فيه، ومده بمدد القرآن الذى لا تنتهى أسراره ولا تغيب أقداره.

وجزى الله من يفعل الخير ويعين عليه، والله ولى التوفيق ،،،

الشيخ محمد بن على السنراوى

❑ ❑ ❑

الفصل الثاني

المدخل

١
جمال التكليف

المسلمون الأوائل استقبلوا الإسلام بروح من الصفاء فسألوا عن الأحكام فى أشياء كثيرة ليتقربوا إلى الله بالامتثال لأوامره بعد أن عشقوا التكليف الإيمانى، وعلموا أن الله لا يخاطبهم إلا بالأمر الحق. كذلك الشيء الذى سكت عنه الحق سبحانه، حاولوا أن يسألوا فيه، حتى ما أن قال لهم رسول الله ﷺ: «ذرونى ما تركتكم لا تكونوا كبنى إسرائيل تشددوا فشدد الله عليهم»(١).

---

(١) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال: «ذرونى ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه مااستطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

أخرجه مسلم [١٣٣٧]

لقد أراد المسلمون الأوائل أن يتيقنوا أن كل حركة من حركات حياتهم، إنما هي خاضعة لمنهج الله سبحانه وتعالى.

والحق سبحانه حين حدد حدوداً، فإنه بذلك قد منع أن يلتبس حق بحق، أو أن يلتبس حق بباطل، فالله سبحانه بوضعه هذه الحدود فإنه يفصل حقوقاً بعضها عن بعض(١).

(١) قسم العلماء الحقوق أربعة أقسام.

(أ) حق خالص لله تعالى

وهو ما يعود نفعه والمصلحة المعتبرة فيه على المجتمع الإسلامي كله، ومن حقوق الله تعالى الخالصة: الإيمان، والعبادات كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج لأنها يعود نفعها على المجتمع كله إذ المقصود بها إقامة الدين. والدين في التشريع الإسلامي هو أساس النظام الاجتماعي للمسلمين فكل ما يمس نظام الجماعة العام من عبادات وغيرها فهو حق خالص لله تعالى لأن العبادات تهدى إلى سمو الأخلاق.

ومن حقوق الله تعالى الخالصة **عقوبات الحدود** لأن جرائم الحدود تمس كيان المجتمع كله، وإقامة حدودها يعود نفعه على المجتمع كله فلا يجوز إسقاطها، ولا العفو عنها ولا التهاون في توقيعها. أما الحدود نفسها فإنها حق لله تعالى خالصاً ما عدا حد القذف.

ومعنى أنها حق لله أنها يقام فيها الدعوى حسبة لله تعالى بغير حاجة ادعاء من المجنى عليه، ويعتبر فيها المجنى عليه شاهداً، فالزنا وشرب الخمر والسرقة والحرابة والبغى حدود حق الله تعالى.

(ب) حق خالص للعباد

وهو جميع المعاملات التي يعود نفعها على العبد أي جميع مصالحه من أموال وبيع وشراء وكسب وغير ذلك، وهذه يجوز لصاحبها التنازل عنها وإسقاطها.

(جـ) حقوق مشتركة بين الله تعالى وبين العبد وحق الله فيه غالب

وهو حد القذف لأن الجريمة تمس الأعراض ففي العقوبة عليها تبرئة للمقذوف =

= ورد لاعتباره. كما أن فى عدم إقامة الدعوى والتبليغ عنها مصلحة للمقذوف أيضا بالستر، إذ قد يستطيع القاذف إثبات ما قذفه به فيقام عليه الحد كما أن المحاكمة تشيع ما لا يرغب المقذوف إشاعته. ولما كانت جريمة القذف تمس الأعراض، وتشكك فى نسب الأولاد، وتقطع روابط المجتمع، جُعلت عقوبتها حقاً لله تعالى. وغلب على حق العبد إذا ثبتت الجريمة بإبلاغ المقذوف عنها للقضاء، أما قبل إبلاغ المقذوف فلا يجوز رفع الدعوى حسبة لما فى الجريمة من حق العبد، وهو مصلحته فى عدم الإبلاغ ورفع الدعوى كما ذكرته.. وجريمة القذف هى الحد الوحيد الذى لا تقام فيه الدعوى حسبة، ويشترط لإقامتها دعوى المجنى عليه وهو المقذوف، ولا يقال إن السرقة لا تثبت إلا بادعاء المجنى عليه وهو المسروق منه، لأن الدعوى فى السرقة تقام حسبة إلا أن ركن الجريمة المادى لا يتم إلا من سرقة مال مملوك للغير بأخذه خفية من حرز، فادعاء المسروق منه لازم لاكتمال ركن السرقة وهو كون المال مملوكًا له وكان محرزاً، أما إقامة الدعوى فى ذاتها فإنها تقام حسبة من غير حاجة إلى المجنى عليه.

(د) حق مشترك بين الله تعالى وبين العبد وحق العبد فيه غالب.

وهو القتل والجرح، فإن هذه الجرائم تمس أمن المجتمع ونظامه إلا أن مساسها بالأفراد مساس مباشر وقوى لأنها تثير الحقد والضغينة وتدعو إلى الثأر وتنتهى مضارها بإيقاف تسلسلها، ولذلك غلب فيها حق العبد، وأعطى حق العفو عنها.

والتقسيم الذى ذكرناه فى الحقوق هو من ناحية المصلحة الظاهرة وحق العفو عن الجريمة وأما الحقيقة فإن كل الحقوق سواء كانت تمس المجتمع أو الأفراد، فيها حق لله تعالى لأن كل حكم شرعى إنما شرع ليتبع ويمتثل. ومن حق الله على عباده أن يمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، وإنما أعطى الله تعالى عباده حق العفو عن بعض حقوقهم. كما أن حقوق الله تعالى وهى التى يعود نفعها على المجتمع يعود نفعها على الأفراد أيضاً من قريب أو بعيد لأن المجتمع هو مجموع الأفراد.

فالحقيقة أن جميع الحقوق فيها حق لله تعالى إلا أن بعضها أعطى الله تعالى العباد حق التنازل عنها وذلك فى المنافع التى تعود عليهم عوداً مباشراً، ولا يتأثر بها غيرهم، وبعضها حرم الله تعالى التنازل عنها أو التهاون فيها لعود نفعها وضررها على المجتمع كله كالحدود. =

ونحن نعلم عندما نقوم بفصل الحقوق عن بعضها البعض.. كما في العقارات أو الأراضي، فإننا نضع حدوداً واضحة، ومعنى ذلك أن الحد هو الفاصل بين حقين بحيث لا يأخذ أحد حق الآخر أو العكس.

والحدود التي نصنعها نحن قد لا ينتبه إليها كثير من الناس، فهي نوعان:

الأول: حد للملكية.. وهو حد كيلا يتعدى إنسان على ملك إنسان، كأن يبني أحد مسكناً في أرضه التي هي حق له، فيكون حقه ملتصق مع حد حق غيره.

الثاني: حد لمنع الضرر.. وهو عندما يزرع فلاح أرضه وبجانبها أرض لفلاح آخر، وبينهما حد يحدد النفع مثلما يريد فلاح أن يزرع في أرضه أرزاً، وجاره لا يريد أن يزرع أرزاً، فزراعة الأرز تحتاج إلى مياه كثيرة تفسد غيرها من الزراعات في الأرض المجاورة، لذلك يكون المطلوب هنا أن يقيم زارع الأرز حداً اسمه حد الجيرة، وهو أن ينقص من أرضه مسافة مترين بطولها صانعًا بها حد الجيرة، حتى لا تتعدى المياه، إلى أرض الجار.. إنه بذلك وضع حدا يمنع الضرر، وهو يختلف عن الحد الذي يمنع التملك.

الحدود تشريع من الله بتطبيق رسوله لها :

الإنسان في أمر حماية نفسه، وكيلا يوقع الضرر بالآخرين عليه أن يدرك

= كما أن حقوق الله تعالى يعود نفع إقامتها وضرر التهاون فيها على الأفراد أيضاً.

المقولة الشائعة: لا تجعل حقك عند آخر حدك، بل اصنع حقك في الانتفاع بعيداً عن حدك.. وذلك في حق الملكية.

كذلك يعاملنا الله فهو سبحانه يقول في الأوامر: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا ﴾(١) و .. ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾(٢) أي إنك أيها المؤمن إذا تلقيت أمراً فلا تتعد هذا الأمر، وإذا ما تلقيت نهياً فلا تقرب هذا النهي، مثل..

* **النهي عن شرب الخمر..**

الحق سبحانه لا يقول لك لا تشرب الخمر، وإنما يقول ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾(٣) لا تقرب الخمر.. أي لا تذهب إلى المكان الذي توجد به الخمر، لأنها قد تغريك فتشربها.

* **النهي لآدم وحواء عن الأكل من الشجرة..**

فلم يقل الحق لهما لا تأكلا من هذه الشجرة بل قال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾(٤).. إنه حد المضارة، أي أنه أمر لآدم وزوجته بعدم الاقتراب من الشجرة حتى لا يصابا بشهوة أو رغبة الأكل منها.

* **النهي عن المباشرة أثناء الاعتكاف..**

مثل قول الحق سبحانه: ﴿ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٩٠.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٩.

تلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١) .. فالحق يأمر المعتكف في المسجد في رمضان، أنه عندما تأتي له زوجته إلى مكان الاعتكاف لتناقشه في أمر هام، فعلى المؤمن أن يمتثل لأمر الله بعدم المباشرة الزوجية في المسجد.

إذن الحق سبحانه وتعالى في الأوامر التي تتعلق بحق الملكية يقول: ﴿تلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعتَدُوهَا﴾ وفي النواهي يقول سبحانه ﴿تلْكَ حُدُودُ اللَّه فَلا تَقرَبُوهَا﴾ وميزان ذلك افعل ولا تفعل والرسول ﷺ يقول: «ألا وإن لكل مَلكٍ حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه»(٢).

الشرع طلب أشياء طلبًا جازمًا وغير جازم. ونهى عن أشياء نهيًا جازمًا وغير جازم.

فمن الطلب الجازم الفرض، ومن غير الجازم السنة والمستحب والمندوب، ومن النهي الجازم الحرام ومن غير الجازم المكروه.

ولقد اختلف بعض العلماء حول الحدود التي شرعها الله سبحانه: هل هي

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بين والحرام بين وبينهما المشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في المشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يُواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

أخرجه البخاري [٥٢]

زواجر، أم هى جوابر؟.. ومعنى زواجر: أى تزجر الإنسان عن الفعل الذى يستحق أن يقام عليه الحد. وجوابر: أى تجبر الذنب وتزيله.

إذن.. نحن نقول: إنها جوابر لذنب من ارتكبها وأقيم عليه الحد باعترافه وإقراره. وهى زواجر لغيره حتى لا يرتكب ذلك الفعل الذى يستحق أن يقام عليه الحد لو قام به.

❊ ❊ ❊

٢
المصدر التشريعي

الحق سبحانه عندما يبين لنا الحدود، يقول: ﴿ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ﴾، وأيضاً يقول: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(١) وذلك لبيان أن رسول الله ﷺ يضع حدوداً من عنده لما حُلّ، وأن يضع حدوداً لما حُرِّم، وهذا تفويض من الله لرسوله في أنه ﷺ يشرع لذلك فلا تقول في كل شيء أريد الحكم من القرآن، ونحن قد نرى في الحياة العادية من يقول لنا: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال جعلناه حلالاً، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) وقول

(١) سورة النساء: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥١.

رسول الله ﷺ: «ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»(١).

ورسول الله ﷺ أخذ التفويض من الله الذى يقول لنا سبحانه:

﴿ وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ ﴾(٢).

إنه ﷺ مفوض بذلك من الله سبحانه، والذين يريدون أن يشككوا فى سنة رسول الله بأنهم يحتكمون إلى كتاب الله ينسون أو يتجاهلون أن فى كتابه الكريم تفويضاً منه سبحانه لرسوله ﷺ فيقولون: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال حللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وكونهم يقولون مثل هذا الكلام فهذا دليل على صدق رسول الله ﷺ فيما يقول. لأنهم لو لم يقولوا هذا لقلنا يا رسول الله لقد قلت: «يوشك رجل متكئ على أريكته يُحدِّث بالحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال حللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه» .. فكيف يا سيدى يا رسول الله تقول ذلك ولم يقل أحد هذا الكلام، لكن الحمقى عندما قالوا مثل هذا القول فإنهم دلوا على صدق الرسول فيما أخبر.

(١) الحديث عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يغصبهم بمثل قراه».

سنن أبى داود [٤٦٠٤]

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

ولذلك فإن الحق يقول:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(١).

فمن يطع الله ورسوله فى الدنيا له الجنة فى الآخرة، لكن الفوز بدخول الجنة هل هو منهج الدين أم هو الجزاء على الدين؟

دخول الجنة هو جزاء يتلقاه الإنسان فى الآخرة، وموضوع الدين هو السلوك فى الدنيا، ومن يتبع منهج الله فى الدنيا، يدخله الله الجنة فى الآخرة، إذن فالآخرة ليست موضوع الدين، لكن موضوع الدين هو الدنيا، لذلك فعندما تريد أن تعزل الدنيا عن الدين فإنك بذلك لا تجعل للدين موضوعا، فعلى الإنسان أن يعرف أن الآخرة هى دار الجزاء.

ولنا أن نسأل: هل الامتحان موضوع المناهج، أم أن المناهج التى يدرسها الطالب طول السنة هى موضوع الامتحان لذلك فالدنيا هى موضوع الدين، والآخرة جزاء لمن نجح ولمن رسب فى الموضوع، لذلك فإياكم أن تقولوا: دنيا ودين.. لماذا؟.. لأنه لا يوجد فصل بين الدنيا والدين، لأن الدنيا هى موضوع الدين، فالدنيا تقابلها الآخرة والدين لهما.. الدنيا مزرعة، والآخرة محصدة، وذلك حتى يرد كل مؤمن على من يقول: الدنيا منفصلة عن الدين.

إذن فمن خاف ربه له جنتان(٢)، وهناك من يقول: هل هناك جنتان لكل

(١) سورة النساء: الآية ١٣.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ سورة الرحمن: الآية ٤٦.
جنة الرضا فى الدنيا وجنة الرضوان فى الآخرة لكل صالح من إنس وجان.

فرد من الإنس والجن؟.. الله سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فحينما شاء أزلاً أن يخلق خلقًا أحصاهم عدداً من لَدُنْ آدم إلى أن تقوم الساعة، وعامل كلاً منهم على أنه مؤمن مطيع، وأنشأ لكل واحدٍ مكانه في الجنة، وعامل كل واحد منهم على أنه عاصٍ وأنشأ لكلٍ منهم مقعداً في النار.. فإن دخل الصالح: الجنة بقيت جنة الكافر التي كانت معدة على فرض أنه لم يؤمن لذلك يقول الحق:

﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

إذن فيرث المؤمنون ما كان أُعد لغيرهم عندما آمنوا، وهنا: ﴿ **يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[2] .. فأين تجرى الأنهار؟.. هل تجرى تحت زروعها، أم تحت بنيانها؟.. إن الأنهار تجرى من مكان لآخر تحت الجنات، وذلك لأن قصور الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[3].

الجنة إذن ستكون نعيمًا ليس على قدر تصورك، ولكن على قدر كمال وجمال قدرة الحق، بينما النعيم الذى يتنعم به الإنسان فى الدنيا يكون على قدر

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٢. (٢) سورة النساء: الآية ١٣.

(٣) عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرأوا إن شئتم ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ [السجدة: ١٧].

أخرجه البخارى [٣٢٤٤] ومسلم [٢٨٢٤]

التصور فى معطيات النعم، ونحن فى الحياة نخاف أن نترك النعيم بالموت، أو يتركنا النعيم بزواله، لكن الجنات.. جنات النعيم دائمة النعم فلا أنت تموت ولا هي تذهب عنك.

❊ ❊ ❊

٣
الحافظون لحدود الله

والحدود هي: جمع حد، وهي تأتى فى القرآن الكريم على معنين:

الأول: المحافظة على أوامر الله، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا** ﴾(١).. أى أن كل أوامر الله هى حدوده فلا تتعدى هذه الحدود.

الثانى: الاجتناب لما نهى عنه الله، وفى هذا يقول الحق: ﴿ **فَلاَ تَقْرَبُوهَا** ﴾(٢).. لأن ما نهى الله عنه فيه إغراء للنفس البشرية فلو اقتربت منه فستقع فيه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

ثمرة مراقبة حدود الله:

على المؤمن ألا يخاف عيلة ـ فقر ـ لأن الله يرزقه إن قنع بالعمل الحلال، وإن احتسب عمله الحلال لله، فسيرزقه الله من حيث لا يحتسب، وعلى المؤمن أن يراعي طاعة الله في رزقه ولسوف يجد عطاء الله له ممدود، وليتذكر كل مسلم قول الحق سبحانه:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(1).

ذلك أن من يراقب حدود الله يجعل له الله من كل هم مخرجًا، ومن كل ضيق فرجًا، والحركة الشريفة النظيفة في السعي إلى الرزق تجعل المؤمن يستريح لأنه لا يدخل جوفه ولا جوف من يحبهم إلا مالاً من حلال، ومن يتوكل على الله فهو كافيه.

والتوكل ليس معناه التواكل أو ألا يأخذ الإنسان أسباب الله في السعي إلى الرزق، إن التوكل هو الأخذ بالأسباب مع إخلاص النية، والإتقان بكل الجوارح في العمل الحلال، واحتساب هذا العمل لوجه الله، وهنا تمتد يد الله بالرزق الوفير كما يقول ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(2)..

(1) سورة الطلاق: الآيتان ٢، ٣.

(2) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم تتوكلون على الله =

الحق سبحانه لا يتخلى عن أى مؤمن خضع لحدوده، وعقد العزم على الأخذ بأسباب السعى فى الرزق الحلال ولعل هذا هو المغزى من قوله الحق:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)..

فقد يقول قائل: لماذا جاء النص بأن بعض الناس قد تأكل أموال بعض الناس ويدلون بها إلى الحكام؟

لا بد أن نعرف أن قوله سبحانه: ﴿ وَتُدْلُوا بِهَا ﴾ يعنى أنه تمتد يد إنسان إلى استخراج شيء من بئر مثل رفع الماء بالدلو من هذا البئر، ومن هنا نعرف كيف جاء الحكم فى الرشوة، فالبعض قد يقدم الماء رشوة حتى يتحكموا فى أموال الناس بالباطل، والرشوة من «الرشا» والرشا هو الحبل الذى يتعلق به الدلو، الذى يرشو من أجل أن يغتصب مال بقية الناس إنما يأكل حراماً.

هكذا جاء التشريع فى القرآن الكريم، فأنت أيها العبد قبل أن تكون محكوماً بحاكم فعليك أن تتذكر أنك..

= حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».
قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

أخرجه الترمذى [٢٣٤٤]

ـ قوله «خماصاً» الخماص: الجياع الخاليات البطون من الغذاء.

ـ قوله «بطاناً» البطان: الشباع الممتلئات البطون منه.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٨.

* محكوم بالله،
* وبقوانين الله سبحانه وتعالى الذى لا يُحلّل بها حراماً، ولا يُحرّم حلالاً.

والرسول ﷺ قد طبق هذا المبدأ على نفسه حين قال لصحابته: «إنما أنا بشر منكم تختصمون إلىّ ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له فمن قضيت له من أخيه شيئاً فلا يأكله إنما أقطع له قطعة من النار»(١).

إن الرسول الكريم ﷺ يوضح الأمر بجلاء تام لصحابته فيقول لهم إنه بشر، وقد يختصم أمامه اثنان من المسلمين، وقد يكون أحدهما صاحب بيان ولغة قوية تثبت له حجة فيما ليس له. فمن حكم له الرسول الكريم بشىء ويعلم أن هذا الشىء ليس من حقه فلا يأكل منه لأن معنى ذلك أنه يأكل قطعة من النار.

درء الحدود بالشبهات:

من رحمة الله أن التشريع الإسلامى يقول: ادرؤوا الحدود بالشبهات(٢)،

(١) عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها».

أخرجه البخارى [٢٦٨٠] ومسلم [١٧١٣]

- قوله «ألحن» أى أبلغ وأعلم بالحجة وللحديث روايات كثيرة عند البخارى ومسلم.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة».

أخرجه الترمذى [١٤٢٤]

- معنى «ادرؤوا» الدرء: الدفع.

ذلك فالمتهم بالسرقة إذا ما التبست ظروف اتهامه بالسرقة شبهة، فلا بد أن يتم تفسير الشبهة لصالح المتهم، وذلك لأنه ليس من مصلحة جماعة المسلمين أن ينتشر عنها أنها..

* في كل يوم تقطع يد سارق،
* وترجم في كل يوم زانية أو زانياً.

وعندما يقل الإعلان عن مثل هذه الأحداث فإن هذه الأخطاء تقل نسبتها في المجتمع، لكن عندما يجهر أحد بجريمة فلا بد أن نضرب على يديه.

نحن إذن ندرؤ الحد بالشبهة لتنتشر الأسوة السلوكية الحسنة، فعندما يقام الحد في أي بيئة إيمانية فالجميع يشاهدون الحادث ويتساءلون عنه، ويعرفون عقابه فيبتعدون عن الأفعال التي توجب إقامة الحد، فبذلك تقل السرقة إلى الدرجة التي لا يُرى أحدٌ سارقاً، ولا يرى أحدٌ زانياً في المجتمع أو أي من الأمور التي توجب الحد،ذلك لأن الحد يطرد الجريمة من أن تطرأ على الخاطر.

الباب الثاني

الفصل الأول : القتل والقصاص والدية

الفصل الثانى : السرقة

الفصل الثالث : شرب الخمر

الفصل الرابع : الزنا واللواط والسحاق

الفصل الخامس : قذف المحصنات

الفصل السادس : الحرابة

الفصل السابع : الردة

الفصل الثامن : الخاتمة

الفصل الأول

القتل والقصاص والدية

١
الفرق بين القتل والموت

هناك فرق بين القتل[1] والموت، فكلاهما إذهاب للحياة.. الموت هو.. إذهاب الحياة بدون نقض البنية، لكن القتل هو.. إذهاب الحياة بنقض البنية، كغرس سكين فى الجسد، أو القتل بأى وسيله ما لهدم البنية.

(١) **القتل**: هو إزهاق لروح آدمى به حياة مستقرة، وجريمة القتل هى إزهاق آدمى لروح آدمى معصوم الدم على التأبيد، وبه حياة مستقرة بغير حق.

ومحل جريمة القتل: هو الآدمى الحى فلا جريمة قتل فى إزهاق روح بهيمة أو تحطيم جثة ميت إذ الأولى جريمة إتلاف مال، والثانية جريمة أخلاقية.

أركان جريمة القتل: للقتل المجرّم أركان ثلاثة هى:

(أ) إزهاق روح آدمى به حياة مستقرة بفعل إنسان مباشرة أو تسببًا بغير حق.

(ب) اتصال رابطة السببية بين فعل الجانى وموت المجنى عليه.

(جـ) أن يكون المقتول معصوم الدم بالنسبة للقاتل. =

والروح كما نعلم لا تحُل إلا فى بنية لها مواصفات. إذن ففى القتل لا تذهب الروح أولاً، لكن البنية تتهدم أولاً، لأن الروح لا تسكن إلا فى بنية خاصة، ونضرب فى ذلك مثل﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾(١) المصباح الكهربى عندما يُقذف بحصاة، فالمصباح ينكسر، وينطفى نوره رغم وجود التيار الكهربى، ذلك أن التيار الكهربى لا يعطى نوراً إلا فى مصباح له مواصفات خاصة، وإذا أردنا إعادة الضوء إلى المكان الذى كان به المصباح السابق فلا بد لنا من إحضار مصباح آخر سليم.

وكذلك الروح.. لا تسكن إلا فى جسم له مواصفات خاصة، فلو ضرب المخ ضربة قوية أتلفته فهذا نقض للبنية، وهنا لا تستطيع الروح الاستمرار، وهذا هو القتل. لكن فى الموت.. الروح تخرج من الجسم من غير نقض البنية ومصداق ذلك قول الحق سبحانه:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾(٢).

= فإذا ارتكب إنسان فعلاً أدى إلى الموت مستوفياً هذه الشروط كان فعله جريمة قتل.
ولكن القتل يتنوع إلى أنواع باعتبار قصد الجانى، وعدم قصده للفعل المؤدى للقتل وباعتبار قصده لإزهاق روح المجنى عليه وعدم قصده لذلك، وقد افترق الفقهاء فى ذلك إلى عدة مذاهب، هى: مذهب جمهور الفقهاء أن القتل ثلاثة أنواع: **عمد، وشبه عمد، وخطأ**. وزاد علماء الأحناف نوعين آخرين هما: **ما جرى مجرى الخطأ، والقتل بالتسبب**، وذهب المالكية إلى أن القتل نوعان فقط هما: **عمد، وخطأ ولا واسطة بينهما**».

(١) سورة النحل: الآية ٦٠. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وهنا نفهم أن الموت هو سلب للحياة بغير نقض لبنية الروح، لذلك يقال: فلان مات حتف أنفه، وعلى فراشه.

القتل والشهادة:

أما الذى قُتل استشهاداً فى سبيل الله قال عنه الحق سبحانه:

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١).

هذا الذى قُتل فى الشهادة قتله عدو للدين، فما بالنا بالذى قال له الله اقتل نفسك.. أو اقتل ابنك ففعل ذلك، لا بد أنه سينال مرتبة أكبر من ذلك عند الخالق الأكرم.. وهنا امتحان للنفس بالنفس لا بالعدو، فميزة سيدنا إبراهيم عليه السلام، تأتى من أنه لم يقل له الله أنا سأميت ولدك، ولم يقل له الحق. سيأتى إنسان ليقتل ابنك.. لا، لم يحدث ذلك. ولكن الوحى جاء لسيدنا إبراهيم فى المنام: أن اذبح ابنك.. وهذا ارتقاء فى الاختبار(٢)، والذى يقتله العدو فإنه..

* ينال الشهادة، لأنه استشهد لتحيا القيم.

* وينال مرتبة الحياة عند الله، لأنه امتثل أمر الله.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم﴾
(سورة الصافات: الآيات ١٠٢/ ١٠٩)

* ويُرزق من الله.

وهكذا نفهم أن ذلك الأمر من الله سبحانه رغم أنه لم يحدث لأحد من أمة المسلمين، هو رحمة من الله.

❊ ❊ ❊